الوثيقة ١٩٥٤٧

من محمد علي الى السلطان

حضرة صاحب الدولة والعنـــاية والعطوفة والرأفة عالي الهمم كريم الشيم سلطاننا أفندينا .

لقـــد كنا عرضنا سابقاً ولاحقاً على الحضرة الشاهانية بأن عساكر المشاة الموفدين إلى جانب الحجاز براً وبحراً قد أوقفوا الآن ومكثوا في ينبع البحر ، وانه من أجل تجديد خيول ومعدات الخيـــالة الذين أرسلوا براً وتبديلهم من الضروري استقدامهم إلى مصر ، وإننا كذلك بحاجة إلى اتخاذ ترتيبات جديدة براً وبحراً وانه أولاً سيجري إرسال ما يلزم من ذخائر عسكرية كاملة وإيفـاد بقية عساكر المشاة بحراً ، وانه بعـد ذلك ترسل المهمات واللوازم الجديدة أيضاً براً . وقد تلقيت الآن كتاباً من رئيس حجاب المقام العالي أمين خزانة عبدكم أحمد آغا الذي كان أفرز من معيتي وأوفد مع مقدمة الجيش المؤلفة من العساكر الجدد حسب الترتيب الأخير يقول فيه بأنهم جميعـاً وصلوا بسلامة الله إلى ينبع البحر ودخلوها. ويضيف الآغا المومأ اليه انه بمناسبة عدم هطول الأمطار وعدم نزول الغيث هـــذه السنة المباركة وحتى اليوم في جهات الحجاز ، ولأن الماء الموجود والحالة هذه في الصهاريج الكائنة في ينبع البحر غير كافٍ سواء لهم أو لعساكر المشاة الكثيري العدد الذين سيصلون قريباً ، فإنه قد استُصْوِب بعـد

التشاور فيما بين الآغا المومأ اليه والقادة ومقدّمي الجيش والعارفين بأن يُكتفى باستبقاء العدد الضروري من الجنود في ينبع البحر للمحافظة عليها ونقل الباقي إلى ينبع البر وأن لا يُرسل جنود آخرون مجدداً الآن بل أن يُبادَر بإرسال ذخائر كثيرة ، وانه من أجل نقل الذخيرة من ينبع البحر إلى ينبع البر ونقل الماء من ينبع البر إلى ينبع البحر قد استحضر ألف بعير ، وانه لكي تُسيَّر هذه الجمال على مرحلتين وتجري المحافظة عليها وعلى حمولتها ذهاباً وإياباً يرى أنه من الضروري إرفاقها بعدد من الخيـالة يصير إيفادهم حالاً براً ، وبمناسبة اقتراب موسم الصيف شديد الحرارة فإنه إذا اقتضى إرسال قوى الجيش المرتَّبة والمجهزة فإنه سيتلف الجانب الكبير من هذه القوات بفعل حرارة الشمس من جهة ، وخاصة لقلة المياه التي سوف لا تكفي لإرواء الجنود والحيوانات فيتلاشى ويتلف أكثرها دون أن تحصل أية فائدة من وجودهم ، ولذلك فإنه من الأنسب أن يكتفى بهذا الترتيب الجزئي وأن يُعجَّل بإرسال الذخائر الوافية . وعند دنو أوائل موسم الشتاء تُعطى الإشارة بعونه تعالى لتحرك القوات البرية والبحرية .

إن ما أورده الآغا المومأ اليه هو في الواقع صحيح ومنطبق على الحقيقة ، وهذا يستدل عليه مما حدث فيما سبق حين وصل بعض الخيّالة لأول مرة ، فإن الحيوانات التي كانوا يمتطونها والتي اشتُرِيَ كل منها بمبلغ يتراوح بين ألف غرش وخمسمائة غرش لم يمكن بيعها لدى عودتها بأكثر من خمسة عشر أو عشرين غرشاً لأصحاب الطواحين وأعطي عدد منها بلا ثمن . وتأييداً لما تقدم نورد الحديث النبوي الشريف الآتي عن إقليم الحجاز ، وهو : « مَن صبر على حَرّ مكة وبرد المدينة فُتحت له الجنة » .

إن الإقليم المذكور هو - كما يتضح - مُهلك للنفوس ، لأنه مشهور بشدة الحر المؤذي والسموم ، وهكذا وجد من المناسب اتباع ما أشار به الآغا المشار اليه وتأجيل التعبئة الجديدة إلى أوائل الشتاء ، وأن يُكتفى الآن بإرسال ما هو مطلوب مستعجلاً من الجمال والخيالة بمعية نسيبنا عبدكم أحمد آغا على أن يتحرك يوم الخميس الخامس من هذا الشهر ليجري التسويق براً .

بالإضافة إلى ما تقـــدم ، فإن من كان مُلحقاً بمعية عبدكم « السر عسكر » (قائد الجيش العام) من القادة والأفراد قد استُشهد البعض منهم وأصبح البعض الآخر ضعيفاً معدماً نتيجة الحروب . وبناءً على ذلك فقد جرى تجهيز وإعداد مائة من الآغوات المنتخبين الملحقين بدائرة هذا العاجز وتسييرهم في نفس اليوم والتاريخ المذكورين على أن يوضعوا هم وخيولهم في السفن فيبحروا من ميناء السويس ، ونفذ ذلك فعلاً .

بقي أن نعرض أن من بقي في ينبع البحر من رؤساء الآغوات قـــد تلقى أوراقاً تهديدية مقدماً ، وهذا ما أوجب جزَعَهم ، وقد أوصوا بالثبات والحزم وبأن يحتفظوا بعقولهم في رؤوسهم ويتذرّعوا بالإدراك وأن يُعلمونا العدد الذي يجب إرساله من الجيوش والمعـــدّات (مئات أو آلاف) فنرسله حالاً حتى لا يتشبثوا بالقول في المستقبل بأن جنود العدو وتجهيزاته كثيرة بينما نحن لا نملك إلا القليل ، وأن ما لدى العدو من ذخيرة وأدوات يفوق ما لدينا منها ، فيتخذون ذلك حجة للإهمال والتقاعس ! وأفهموا وذُكّروا جميعاً بأن عليهم أن يكونوا حزمة واحدة مرتبطين روحاً وقلباً بالاجتهاد والجهاد بكل حيطة وحسن تدبير ، وأنذرناهم بأنه سوف لا يكون لهم على يدنا نجـــاة أو خلاص من المسؤولية والعقاب إذا هم قصّروا أو تهاونوا بأداء ما هو مفروض محتم عليهم من واجبات. وبعد الاستعلام منهم عن المقـدار اللازم من القوات أفادوا بأنهم يحتاجون إلى خمسة عشر ألف نفر من جنود المشاة . وبناءً على ذلك ، وبعد أن نظرنا بالأمر مليّاً ، وجدنا بأنه عدا مـــا هو موجود بمعيتنا من القوات المرتبة والمخصصة للإرسال ، فإن هنالك مفرزات كبيرة وكثيرة العدد من الجنود تستقدم تدريجياً من روم. ولذلك فإنه، بالإضافة إلى الخمسة عشر ألف جندي من المشاة المطلوب إيفادهم ،بالإمكان أن نُرسل أيضاً أعداد كافية من الخيالة، كما أن الاستعدادات جارية من أجل مجابهة حر الصحراء وسمومها وقـلة مياهها لكي يتحمل الجنود تلك المشاق وتهون الامور عليهم .

ودعماً لكل ما تقـــدم ، فإننا آخذون بإعداد وتجهيز ثلاثة آلاف نفر من

الجنود المغاربة وإضافتهم إلى الجنود والجيوش التي مرّ ذكر تعدادها آنفاً ، على أن تتحرك بمنّه الكريم في أوائل الشتاء براً وبحراً ، إذ يكون قد تمّ ترتيبها فتساق بعون وعناية الباري تعالى وتوجيهات وبركات حضرة صاحب الشوكة السلطانية في الوقت المحدّد .

وما دام في قدرة كيان هذا العاجز عبدكم جسماً وروحاً أن يسير في هذه المصلحة بلا عجز أو فتور ، ومع شدة تصميمنا وحرصنا على ذلك ، ورغم انه لم يحدث أي تقصير من جهتنا بهذا الصدد ، فإننا نقول : ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ . وإننا إن شاء الله ، بفضل كرامات حضرة صاحب الشوكة أفندينا وأنظار كافة أولياء أمورنا الكرام الذين نرجو لهم جميعاً طول البقاء ، سنقوم بمنّه تعالى بما تعهدنا به من شؤون وجهاد، وإننا سنوفّق لتأمين ذلك على الوجه الأكمل بإذن الله ورعايته وألطافه ، وهو سبحانه وتعالى الذي نستمد منه العون والنجاح .

هذا واننا لنعرض لأفندينا عالي الهمة والشيم انه بالنظر إلى المسافات والمراحل العديدة التي يجب أن تمر بها تلك الترتيبات الكلية الجديدة والطرق والمحلات التي يجب أن تسلكها إلى أن تصل مع تلك الكميات من الذخيرة المتنوعة التي لا تنفذ ، سواء إلى ينبع البحر أو إلى سائر الجهات متحركة من مصر ؛ ولما كان يقتضي اتخاذ التدابير التي تستلزمها المصلحة ، وأن هذا يعني أنه بعد أن تتحرك الجيوش من مصر ، ولكي لا يطول الانتظار فإنه وجد أن من دواعي الاستعجال أن يجري تسيير كافة ما أعد من اللوازم من مصر لكي تصل خلال مدة لا تتجاوز ثمانية أو تسعة أشهر إلى محالها المعينة عن طريق ميناء السويس ، كما وتسيير بقية الأرزاق واللوازم والذخيرة والمهمات عن طريق ميناء القصير إذ أن ذلك يكون أسهل ، وأن يكتب بذلك إلى ضابط الميناء المذكور . على أنني بالنظر لحرصي الشديد والتزامي شؤون هذه الحملة ولرغبتي التأكد من انفاذ الارساليات بالسرعة وعلى الصورة المطلوبة واحتياطاً لذلك رأيت أن أذهب بنفسي حالاً مستصحباً عشرين نفراً من الأتباع إلى جهة الصعيد وأن أطلع بالذات على كل الاجراءات .

والحاصل إنني عازم بحول الله وقوته أن أكرس كافة أوقاتي ، الأيام والليالي ، لإنجاز هذه المصلحة الحجازية على الوجه الأكمل باتخاذ كافة الوسائل وتدارك جميع الاحتياجات ، وإن كل اهتمامي ومسعاي منحصران في توطيد ذلك . ولكي يكون كل ما سلف بيانه محاطاً بعلم حضرة الذات الشاهانية العلية فنكون هكذا مشمولين بأكبر التوجيهات والبركات والامدادات الروحانية والنفحات السامية البهية ، جرى تقديم هذه العريضة ، وعلى كل فإن الأمر والإرادة لحضرة أفندينا وسلطاننا ذي الشوكة والمهابة والإحسان .

٣٠ ٢٢٧ خاتم محمد علي

حـــاشية :

كتب السلطان ، في أعلى رسالة محمد علي ، هذه الحاشية :

لقد اطّلعت على هذا :

إن مطلبي المنحصر بالمصلحة الحجازية أحيله أولاً إلى الله سبحانه وتعالى ومن ثم إلى صاحب الغيرة علي باشا المشار اليه . كما إني أحيل قضية إبداء الرأي واتخاذ التدابير المقتضية إلى المشار اليه العليم بشؤون الأراضي الحجازية وكيفيتها وأنيطها برأيه . وسيعمل ما يقتضي لذلك ويسير وفق اللزوم . ليوفقه الله سبحانه وتعالى وسيوفّق إن شاء الله تعـــالى . وحتى ذلك الوقت فإن والي الشام أيضاً الذي سيصل إلى محله سيعلم بالمراسلة ما إذا كان بالإمكان التحرك من الشام أو مـــا إذا كان يمتنع ذلك وسيتشبثون بإنجاز المقتضى في حينه وبحسن تدبير .

(خط همايون)

[illegible]

الوثيقة ١٩٥٤٧